المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:05، العدد:01 (2021)، ص678-693

المدينة في إستراتيجية الثورة الجزائرية
The City in the AlgerianRevolution Strategy

سباعي سيدي عبد القادر*
جامعة طاهري محمد بشار(الجزائر)
kadasebai@gmail.com

محمد برشان
جامعة طاهري محمد بشار(الجزائر)
medberchane08@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/05/28
تاريخ القبول:
2021/06/13

الكلمات المفتاحية:
- ✓ المدينة
- ✓ الثورة
- ✓ المظاهرات
- ✓ الإضرابات

الملخص:

إنّ نظرة قادة الثورة التحريرية إلى المدينة بوصفها كيانا اجتماعيا تتعدد فيه الفئات الاجتماعية، وتتنوع فيه الأنشطة الاقتصادية، والاجتماعية والثقافية جعل منها محلّ اهتمامهم منذ بداية التحضير للثورة. وتأكدت أهميتها مع تزايد تأثيرات الحصار العسكري الفرنسي لمناطق تواجد المجموعات الأولى لجيش التحرير الوطني، فكان لزاما البدء في تنويع مجالات الصراع، وتوسيع جغرافية العمل الثوري، ومن ثمّ فإنّ انتقال الثورة من الريف إلى المدينة كان ذلك من أهم الاستراتيجيات الفعّالة التي طبقتها جبهة التحرير الوطني، فالمدينة لم تكن ساحة سهلة للعمل المسلّح، ولهذا أعتمد في البدء على الريف، لأنّه المكان والمجال الطبيعي للثورة المسلحة.

Article info

Received:
28/05/2021
Accepted:
13/06/2021

Key words:
- ✓ City
- ✓ Revolution
- ✓ Demonstrations
- ✓ Strikes

Abstract:

The Revolutionary leaders' view of the city as a Social entity with multiple social groups and a variety of Economic, social and cultural activities, has made it their concern since the beginning of the Revolution.More over, its importance was confirmed with the increasing effects of the French Military siege to the areas where the first groups of the National Liberation Army were present, which was able to bear the burden of the beginning of the Revolution.It was necessary to begin to diversify areas of conflict; and to expand the Geography of Revolutionary action.Then the Transfer of the Revolution from the countryside to the city was among the effective Strategies applied by the FLN. the city is not an easy arena for armed action, there foreit adopted on the countryside, since it is the place and Natural area of the Armed Revolution.

* المؤلف المرسل

المدينة في إستراتيجية الثورة الجزائرية

مقدمة

شكّلت المدينة الجزائرية خلال الفترة الكولونيالية فضاء طبيعيا للنشاط السياسي، لما وجدته النخبة الجزائرية والحركة الوطنية الجزائرية من مؤهلات، واستعدادات في هذا المجتمع الحضري، حيث تنوعت فيه الفئات الاجتماعية مع انتشار الوعي والاستعداد للمواجهة السياسية، خصوصا ذلك الحضور القوي للفئة المثقفة، وتفاعلها الدائم مع الأحداث التي عرفتها البلاد، بالإضافة إلى وجود الفئة الميسورة الحال التي لها القدرة على المساهمة المادية لدعم أي عمل يمكن أن يعطي دفعا للقضية الوطنية بعيدا عن كل ضغط إداري أو معنوي، مقارنة بالمجتمع الريفي الذي تتحكم في حركيته بشكل مباشر ودائم سلطة الإدارة العسكرية وسطوة القايد والخوجة وبشكل قوي تأثيرات القبيلة.

ومن ثمّ لم تكن مسألة نقل الثورة إلى المدينة أمرا سهلا، لأنّه سيضع ساكنتها أمام حتمية اتخاذ موقف سواء مع الثورة أو ضدها ولا وجود للحياد، فأيّ موقف متردد أو معاد للثورة، فهو انتصار لأطراف أخرى سواء جزائرية أو فرنسية، وهو في النهاية ضرب لمشروع جبهة التحرير الوطني، وإفشال لإستراتيجيتها ومصداقيتها، وقد تكون بداية لنهايتها، وبالتالي فإنّ الجبهة عوّلت كثيرا على المدينة، لأنّها مكملة ومدعمة لنشاط جيش التحرير الوطني بالريف، وهي واجهة للثورة التحريرية. **إلى أي مدى نجحت جبهة التحرير الوطني في تعبئة وتنظيم واحتواء مختلف فئات الشعب الجزائري حول مشروعها الثوري؟ وكيف تمكنت من تحويل المدينة إلى جبهة نضالية لإفشال إستراتيجية السلطات الكولونيالية؟ وما هي انعكاسات الحراك الجماهيري بالمدن على مسار الثورة؟**

إن موضوع دور المدينة في الثورة التحريرية من المواضيع التي تبنى على المنهج التحليلي للأحداث لأنه مفتوح على كل القراءات، وهذا ما حاولنا اعتماده خلال مراحل هذا المقال.

1 .توطئة للموضوع

يعود اختيار الريف فضاء طبيعيا لإنجاح الثورة إلى اعتبارات عدة، منها الاجتماعية مثل: عامل القرابة، والتعارف والتضامن، بين أفراد المجتمع الريفي. وحتى الاتصال والاجتماع بالمواطنين في الأرياف أسهل، وأضمن من القرى والمدن[1]. كما أنّ سكان المجتمع الريفي هم الأكثر تقبلا واندفاعا للعمل للثوري والمسلح، مقارنة بسكان الحواضر الذين تمرسوا على النشاط السياسي. ومن ثمّ لم يكن غريبا أن يشكل سكان الريف غالبية الوقود الأوّل للثورة. وكان عالم الريف يمثل أكثر من70%من سكان البلاد، وبقي خاضعا لنظام مكره عليه أسسته السلطة الإدارية الفرنسية[2]، مما جعله أكثر استعدادا لتقبل فكرة العنف، والأكثر قدرة على تحمل عبء العمل الثوري ومواجهة البطش "**الاستعماري**" في بداية الثورة، وقد تأكد ذلك لما لجأ "**المستعمر**" كعادته إلى تكديس جنوده بالريف الجزائري، لضرب الثورة بالقوة، حيث وجد استماتة وتماسك لسكان الريف في الدفاع عن ثورته، وحاول رفع عدد قواته العسكرية من 100ألف جندي في مارس 1956 إلى 373000 جندي في أول جوان1956 [3]. رغم كلّ ذلك إلاّ أنّه لم يتمكن من القضاء على الثورة التحريرية في مهدها.

شكّلت المدينة الجزائرية إبّان الفترة الكولونيالية خليطا من التركيبات الاجتماعية ممثلة في: الأوروبيين والمسلمين واليهود، وعاشت في أحياء متجاورة على شكل غيتوهات، يُغذّيها التمايز الاجتماعي، فهي تجمع بين المتناقضات السوسيو–ثقافية بفعل تعدد الأنماط المعيشية والأثنية داخلها ولتعارض المواقف السياسية فيها، فالجزائريون كانوا أكثر عددا من الأوروبيين في كلّ المدن باستثناء مدينة الجزائر أين كانت النسبة مُوّزعة على 43 % للجزائريين و57% للأوروبيين[4]. وهذا التزايد السكاني للمسلمين بالمدن كان نتيجة استفحال ظاهرة الهجرة من الريف نحو المدن نتيجة تفكك القبيلة تحت ضغط متنوع للقوانين والتأثيرات الاقتصادية والكوارث المناخية[5] وأشتد هذا النزوح مع الحرب العالمية الثانية بسبب انتشار المجاعة، وفي تحقيق تم في 1940 اظهر على أن 10% من السكان المسلمين الذين يمكن تصنيفهم بإمكانهم توفير احتياجاتهم[6]، واستمر استنزاف المدينة لسكان الريف مع الثورة التحريرية.

كان نداء نوفمبر صريحا ودقيقا، وموّجها لكل الجزائريين سواء بالريف أو المدينة، حيث جاء في الفقرة الأخيرة من نص البيان "**أيها الجزائري!**"، فالخطاب كان شخصيا، وأصبحت المشاركة في الثورة فرض عين، وليست فرض كفاية، فلا تسقطها إلاّ عدم القدرة، وبالتالي أضحت مسألة المشاركة في الثورة أمرا إجباريا، وهذا ما سعى إليه وخطط له مفجرو الثورة التحريرية الذين تميزوا بالحنكة السياسية، والقدرة الفائقة على التنظيم، بحكم ترعرعهم في مدرسة الحركة الوطنية التي أمدّتهم بالتجربة في فنّ النضال السياسي والعمل العسكري–الفدائي، خصوصا سنوات نشاط المنظمة الخاصة spéciale Organisation.

2 .تنظيم جبهة التحرير للفئات الاجتماعية

كانت المدينة الجزائرية مجالا حيويا للنضال السياسي، مما جعل الحراك السياسي فيها دائما في مخاض، لشدّة التنافس والتدافع بين مناضلي الحركة الوطنية، فإن كان الانخراط في الحركة الوطنية قبل الثورة من دواعي الوطنية لدى الجزائريين، فإنّ الانخراط في صفوف جبهة التحرير الوطني كان دليلا للتضحية من أجل الوطن. وللتحكم في حركية المدينة أصبح لزاما على جبهة التحرير احتواء التنظيمات الاجتماعية الفاعلة، لتنظيم الشعب الجزائري وتوجيهه، والغاية من وراء ذلك إنجاح إدارة النشاط الثوري داخل المدينة. ولكن قبل اعتماد إستراتيجية توظيف المدينة في العمل الثوري بشكل واسع ومنظّم، قامت جبهة التحرير بتنظيم مختلف الفئات الاجتماعية، وجعلها أدوات ثورية فعالة. لذلك بدأت عملية احتواء هذه الفئات الاجتماعية في خضم الصراع المسلح الدائر بين جبهة التحرير، والحركة الوطنية الجزائرية M.N. A من أجل كسب مساندة الشعب الجزائري. ومن ثمّ اندفعت جبهة التحرير الوطني نحو تأسيس تنظيمات مهنية وطلابية، ثم قامت بفضل مناضليها من اختراق، واحتواء النقابات والتنظيمات التي كانت تعمل تحت غطاء التنظيمات السياسية الأخرى، فتمكنت في وقت وجيز من جلب، وكسب تعاطف مناضلي هذه التنظيمات، وهكذا تمّت عملية تأطير وتنظيم الطلبة، والعمال والتجار والحرفيين الجزائريين في التنظيمات التالية:

1.2. قام الطلبة المنتمون إلى حركة الانتصار مع طلبة جمعية العلماء وطلبة الإتحاد الديمقراطي بتأسيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين U.G.E.M. Aما بين 8-14 جويلية 1955، وذلك بإيعاز وتوجيه من جبهة التحرير. وفي مؤتمره الثاني أعلن هذا الاتحاد إضرابا مفتوحا عن الدراسة يوم 19ماي1956، وقد ترتب عن هذه المقاطعة نتائج اجتماعية وسياسية وثقافية، فالطالب الجزائري سواء كان بفرنسا أو بالجزائر، فقد أثبت أنّه مرتبط بالقضية الوطنية الممثلة في جبهة التحرير، وبطلب منها تمّ توقيف الإضراب في 22 سبتمبر1957. تبني الإضراب كوسيلة استفتاء لـ F.L.N" **الاستفتاء الصامت**" ومقياس لمدى تمثيلها كممثل شرعي، ووحيد للشعب الجزائري. ومن ثمّ استعماله كورقة ضغط في أي تفاوض مع السلطة الكولونيالية. دفع الإضراب بالكثير من الطلبة الجزائريين إلى الالتحاق بالثورة سواء بالخارج أو بالداخل، وكان ضربة قاسية للسياسة الفرنسية المعلنة، ففقدت فرنسا بذلك فئة جزائرية مثقفة ارتمت بسرعة في أحضان الجبهة، مما أعطى للثورة دفعا قويا، لأنّ هذا الانخراط الواسع لفئة الطلبة في صفوف جيش التحرير، قد غذّى الثورة بفئة شابة، ومثقفة في صفوف المجاهدين يحتاجها التنظيم السياسي والعسكري للجبهة على السواء. يمثل هذا الإضراب بالنسبة لبن يوسف بن خدة إهانة شديدة للإدارة الفرنسية حيث أدركت أن الشباب الجزائري المثقف قد انقلب بصورة نهائية إلى المعسكر الثوري، ومن ثم يتضح أن هذا الإضراب كان تعبيرا من الطبقة المثقفة عن التحاقها بصفوف جبهة، وجيش التحرير الوطني[7].

وهو بذلك ساهم في دحض ادعاءات فرنسا بانحصار الثورة في فئات اجتماعية محدودة من جهة، وتكذيب الإشاعات التي روجتها بأنّ النخبة الجزائرية المثقفة بالفرنسية جزء لا يتجزأ من المجتمع الفرنسي من جهة أخرى. وبالتالي أكد الإضراب بأنّ الطلبة جزء لا يتجزأ من مكونات المجتمع الجزائري ومن ثورته. فأثبت بذلك بأنّ الثقافة الفرنسية لم تفلح في التأثير على عقول الطلبة الجزائريين، ولم تنجح في القضاء على الروح الوطنية لديهم حتى ولو تحدثوا بلغتها. كما نشط الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين U.G.E.M.Aخارج الوطن للتعريف بالقضية الجزائرية في أوساط تجمعات التنظيمات الطلابية العالمية.

2.2. قامت جبهة التحرير الوطني باحتواء العمالة في الجزائر بإنشاء الاتحاد العام للعمال الجزائريين U.G.T.A، الذي تم الإعلان عنه في مؤتمره التأسيسي 24-26 فبراير 1956 بالعاصمة. ومع نهاية صيف 1956 تمكنّت المركزية النقابية من اكتساح الطبقة العمالية خصوصا في المدن ذات الأهمية[8] بعد صراع مرير مع نقابة الحركة النقابية المصالية U.S.T.A. ونشط U.G.T.A في فرنسا تحت غطاء الودادية العامة للعمال الجزائريين Amicale.G.T.A التي تأسست في 16فبراير 1957 تحت رقابة فيدرالية جبهة التحرير بفرنسا، وقدرت وزارة العمل الفرنسية عدد المهاجرين الجزائريين الذين تم إحصائهم بِـ 250 ألف، حيث لم يكن منخرط منهم في جبهة التحرير إلى غاية 1957 إلا 20 ألفا...ففي مارس 1961 بلغ عدد المنخرطين 136345 مناضلا ومنخرطا ومتعاطفا، بما فيهم الموجودين ببلجيكا، ومنطقة السار بالإضافة إلى 4000 امرأة[9] وهذا دليل على كفاءة وإمكانيات مناضلي الجبهة في الداخل والخارج على تجنيد الجزائريين بكل الطرق .

3.2. الاتحاد العام للتجار الجزائريين U.G.C.A: تأسس هذا التنظيم رسميا بعد عقد مؤتمره بالأول العاصمة يومي 13 و14 سبتمبر 1956 تحت رئاسة عمر عيشون وعباس التركي نائبا له، وكانت جريدة الاقتصاد الجزائري لسان حاله، وأعلن هذا التنظيم منذ تأسيسه عن وطنيته وتوجهاته السياسية، وكان أداة فعالة في دعم الثورة سياسيا، ومصدرا هاما في تموينها وتمويلها. نجح الاتحاد في تنظيم نظم أوّل إضراب له يوم 01 نوفمبر 1956 إحياء للذكرى الثانية لاندلاع الثورة، وإضراب ثمانية أيام الشهير 28جانفي– 4 فبراير 1957.

وهكذا أصبحت جبهة التحرير الوطني مسلحة بهذه التنظيمات تستعملها في تحريك المدينة وإدارة الصراع فيها كلما دعت الحاجة إلى ذلك وفي اللحظة المناسبة، وحسب الظروف الداخلية والدولية لتحقيق نتائج سياسية يكون لها صدى في الداخل والخارج ويكون لها تأثير سريع على الرأي العام وعلى مخططات السلطة **"الاستعمارية"**.

3. إقحام المدينة في العمل الثوري

كان من الضروري الإسراع في نقل العمل الثوري إلى المدينة وجعلها طرفا فاعلا، ومسرحا خصبا لنشاط جبهة التحرير الوطني من أجل تخفيف الضغط عن الريف، وقد تنّوع نشاط الجبهة بالمدينة ما بين العمل السياسي، والعمل العسكري (الفدائي)، مما جعلها حلقة أساسية في استمرارية الثورة في الداخل والخارج، فإقحام المدينة في الثورة جعل منها رقما أساسيا في معادلة الصراع، وقد تباين دور المدينة في الثورة بين الغياب والحضور والإقرار.

3. 1. غياب المدينة

ما يميز بداية المرحلة الأولى للثورة التحريرية هو غياب العمل العسكري بالمدينة الجزائرية، وهو ما يعني عدم مسايرتها لحركية الثورة بشكل واسع، في الوقت الذي نسجل فيه أن أغلب العمليات الفدائية–العسكرية الأولى ليلة نوفمبر 1954 أنجزت بالقرى والمدن، وبلغ تعداد العمليات التي نفذها الثوار بـ 40 عملية، استهدفت مراكز الشرطة والدرك والثكنات بالقرى والمدن[10]. ثم تمركز نشاط جيش التحرير بالمناطق الجبلية، التي جعل منها ميدانا لعمله المسلح وتحركاته، وبذلك أضحى الريف عامة مصدر تموينه، وجعل من سكانه وَقودا للثورة.

لقد كانت المدينة إلى غاية هجوم الشمال القسنطيني في 20 أوت1955 طرفا متفرجا، بل غائبا حتى لا نقول مترددا، لما أصابها من قلق وشك أدخلها في حالة ترقب للمجهول. كما أنّ مواقف الجزائريين عموما، والسياسيين والمثقفين، والبورجوازية المحلية والطبقة الوسطى بشكل خاص، كانت مقسمة في البداية بين مؤيد ومتردد ومعارض للثورة، ففي الفترة الممتدة من فاتح نوفمبر1954 إلى تاريخ هذا الهجوم لم تشهد المدينة الجزائرية عملا عسكريا–فدائيا مثيرا ومؤثرا. وهذا لا يعني البتة أنّها كانت خالية من العمل الفدائي، حيث أنّ أولى العمليات الفدائية بالمدينة بدأت مع شهر أبريل 1955، ولكن المقصود بغياب المدينة هو عدم وضوح موقف غالبية سكان المدن من تأييد وتبني للمشروع الثوري، فالثورة داخل المدينة في هذه الفترة لازالت في مرحلة التحضير والاستعداد، ولهذا فإنّ خلايا جبهة التحرير الوطني عندما تمركزت في المدن، كان هدفها

البحث عن دعم مستمر وسريع للكفاح المسلح[11]. وهذا لا يتحقق آليا فالأمر يحتاج إلى النضال، والصبر وقوة الإقناع.

3. 2. حضور المدينة في الثورة

لم يكن الأمر سهلا حتى تلتحم وتلتحق المدينة بالريف، بل تطّلب ذلك إستراتيجية محكمة من قبل زعماء الثورة، وقد مرّت هذه العملية بمرحلتين:

1.2.3.المرحلة الأولى

أُعتمد فيها بشكل محدود على توسيع العمل المسلح في الحواضر، وتجلى ذلك مع هجوم الشمال القسنطيني 20 أوت 1955 الذي خططت له قيادة المنطقة الثانية، وقد عبّر عن ذلك السيد ابن طوبال في قوله: " **وقررنا دخول أكبر عدد ممكن من القرى والمدن...وتمّ الاتفاق كذلك على مشاركة الشعب في هذا الهجوم، كطليعة لجيش التحرير الوطني**"[12]. ويعتبر هذا الهجوم أوّل عمل يقحم المدينة في الثورة بشكل واسع وصريح، فنقل العنف الثوري من الريف إلى المدينة هو توسيع لجغرافية العمل الثوري بفتح جبهة جديدة لتشتيت قوات الجيش الفرنسي.

ونتيجة لهذا الهجوم أصبحت المدن والقرى في الشمال القسنطيني مسرحا للعمل المسلح، فآلام مجازر ماي 1945 التي أبعدت السكان عن الانخراط في الثورة بشكل سريع عند انطلاقتها، أصبحت ذات الآلام المحرك الأساسي للثأر والتحرر من عقدة الخوف التي أغرقها فيها البطش "**الاستعماري**"، فكانت هذه المشاركة الواسعة للسكان في هذا الهجوم تعبيرا عن احتضان الثورة وتلبية نداء الجبهة. إن نجاح مخطط نقل العمل العسكري من الجبال إلى القرى، والمدن في هجومات الشمال القسنطيني، ساهم في فكّ الحصار عن جيش التحرير الوطني الذي كان معزولا بمنطقة الأوراس، كما هدف إلى القضاء على المنافس معنويا أكثر من استعمال السلاح للحصول منه على نصر حاسم[13]. وبيّن أيضا ما مدى رفض الشعب الجزائري لسياسة سوستال التعسفية[14] كما كانت لهذا الهجوم تأثيرات سلبية كبيرة على نفسية الأوروبي بالجزائر، لأنّ نار الثورة أصبحت تطارده هو الآخر، فهو شريك في مواقفه وتفاعله لردود الفعل الوحشية الفرنسية تجاه الشعب الجزائري وثورته، وقد أعطى هذا الهجوم درسا "للاستعمار" وللوطنيين المعتدلين الذين اتُهموا بتمييع عزيمة الجماهير النضالية[15]. شكّلت أحداث 20 أوت1955 حدا فاصلا، ونقطة التحول الاجتماعي لحركية الثورة التحريرية[16]، نتيجة لما حققه هذا الهجوم من نتائج سياسية وعسكرية، ونفسية وإعلامية، أعطت دفعا قويا للثورة الجزائرية بل مثّل هذا الهجوم انطلاقة جديدة لها.

2.2.3. المرحلة الثانية

بدأت بالإشراك الواسع للمدينة الجزائرية في الثورة، وذلك بعد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956، فإذا كانت هجومات الشمال القسنطيني البداية الفعلية لمشاركة المدينة في الثورة، فإنّ مؤتمر الصومام قد نظم هذه المشاركة بشكل رسمي، فالمؤتمرون في هذا اللقاء الأوّل من نوعه لقادة الثورة قد نظّروا، ونظموا مسألة إقحام

المدينة في الثورة، حيث غذت طرفا أساسيا في إستراتيجية الثورة، وذلك بتنظيم هياكل الجبهة لإدارة العمل السياسي والعسكري بالريف وبالقرى والمدن عبر مجالس ولجان، وهكذا ظهر التنظيم المدني للجبهةO.C.F.L.N، وجعل سكان المدن طرفا أساسيا في العمل الثوري منهم المناضل والمسبل والفدائي.

لقد تحولت المدينة الجزائرية إلى ملجأ لسكان الريف الفارين من القمع "**الاستعماري**" لما يتعرضون له من إبادة، ومع التزايد السريع في عدد سكان بسبب هذا النزوح كثرت البطالة وانتشر الفقر، وتحولت المدن إلى حالة من المخاض الاجتماعي والسياسي، وتشير بعض الإحصائيات إلى أنّ عدد المهاجرين الذين انتقلوا من الريف إلى المدينة خلال فترة الحرب من 1954 إلى 1962 بلغ 731000 نسمة[17].

وبحكم أهمية العاصمة والإمكانات التي توفرت عليها أنها كانت أكثر منطقة يمكن رصد فيها النضال الشعبي الضاري ومتعدد الصيغ، ابتداء من 1956، أكثر من أي منطقة أخرى، بفعل تواجد استيطان أوروبي مهيكل على المستويين الاجتماعي–الاقتصادي والثقافي[18]، مما دفع بالجبهة إلى اتخاذها محورا للصراع بين الجزائريين والجيش الفرنسي من جهة، وبين الجزائريين والأوروبيين من جهة أخرى. وقد انعكس ذلك على بقية المدن الأخرى خصوصا وهران وقسنطينة وعنابة، ثم بدأ العنف يتوسع في باقي المدن الأخرى، وقد مثّلت معركة الجزائر من ديسمبر1956 إلى أكتوبر1957 أوج الصراع العسكري بين جيش التحرير والقوات الفرنسية، ثم نقلت جبهة التحرير العمل الفدائي الثوري (العمليات العسكرية) إلى مدن فرنسا ذاتها، وذلك منذ 25أوت 1958، حيث أصبحت المدينة الفرنسية طرفا آخرا في معادلة الصراع. وهكذا انتقل لهيب الثورة إلى الأراضي الفرنسية، مما أثّر على الأمن والاستقرار في أوساط الفرنسيين، بشكل مباشر بالمتروبول، ففي ذات الوقت الذي طوق فيه الجيش الفرنسي المدن الجزائرية بوضعها تحت الرقابة الشديدة أصبحت فيه المدن الفرنسية مجالا حيويا لنشاط جبهة التحرير.

4– أشكال النشاط الثوري بالمدينة

لقد تنّوع نشاط الجبهة بالمدينة من النضال السياسي إلى العمل العسكري، حيث سجلت المدينة الجزائرية حضورا فعالا في النشاط الثوري، والذي اتخذ الأشكال التالية:

4. 1. العنف الثوري

بدأ تنويع أسلوب العنف الثوري بنقل العمل المسلح إلى المدن بهدف تشتيت قوة الجيش الكولونيالي، وإقحام سكان المدن في الصراع العسكري الذي كان بعيدا عنهم، وللتحكم في النشاط الثوري بالمدينة تمّ التركيز في البدء على العاصمة بإنشاء المنطقة المستقلة للجزائر العاصمة Z.A.A ، فكانت مستقلة عن الولاية الرابعة وخاضعة مباشرة للجنة التنسيق والتنفيذ، لجبهة التحرير الوطني[19]التي أدارت معركة الجزائر من ديسمبر1956 إلى أكتوبر1957، ردا على الجريمة التي نفذها الغلاة من الكولون يوم 10أوت1956 في حق المدنيين الجزائريين بتفجيرهم لعدة مساكن ليلا بشارع ثاب Thèbes بالقصبة وراح ضحية هذه العملية الإرهابية العشرات من الأبرياء. لقد دونت معركة الجزائر أروع صفحات تاريخ حرب المدن التي لا زالت إلى

يومنا نموذجا يحتذى به في الصراعات العسكرية، والحروب الأهلية داخل المدن، على الرغم من النتائج السلبية التي ترتبت عنها على المستوى العسكري بالنسبة للجبهة، حيث تمكن الجيش الفرنسي من القضاء على العمل الفدائي داخل العاصمة، بتفكيك التنظيم السياسي والعسكري للجبهة، وبالتالي أخرج وأسقط مدينة الجزائر من معادلة الصراع العسكري. وبالمقابل من ذلك حققت الكثير من الانتصارات السياسية، وربما لو تمكنت الجبهة من تحقيق انتصارات عسكرية في هذه المعركة كان من الممكن توسيع إستراتيجية معركة الجزائر على بقية المدن الكبرى في البلاد. وهذا لا يعني أنّ العمل الفدائي توقف ببقية المدن، ولكن بالعكس تواصل بحذر إلى غاية الاستقلال، وكان لحرب المدن تأثير في حالة المحتل النفسية وسمعته الدولية[20].

وعلى صعيد أخر نقلت جبهة التحرير العمل الفدائي الثوري **(العمليات العسكرية)** إلى المدن الفرنسية ذاتها، وذلك منذ 25 أوت 1958، حيث تمكن الجناح العسكري لفيدرالية جبهة التحرير بفرنسا من القيام بعدة تفجيرات تخريبية بمختلف المدن الفرنسية، وكان ذلك إيذانا بفتح جبهة فرنسا. وهكذا أصبحت المدينة الفرنسية طرفا آخرا في معادلة الصراع، مما أثر على الأمن والاستقرار في أوساط الفرنسيين بالمتروبول بشكل مباشر، وكان رد الفعل الفرنسي كعادته عنيفا ضد كل ما هو جزائري، وذلك بما يعرف بمعركة باريس التي فجّرها موريس بابون Maurice Papon[21]، والتي بدأت قبل حظر التجول لِـ 05 أكتوبر 1961[22]. حسب الإحصائيات الفرنسية أنه تمّ اغتيال 47 وجرح 140 من الشرطة الفرنسية والحركى على يد فدائيي فيدرالية الجبهة بفرنسا خلال الفترة الممتدة بين (1957 – 1961)، ومن بين العمليات الفدائية لجبهة التحرير قتل 11 شرطيا ما بين أوت وأكتوبر 1961. وكانت هذه العمليات جوابا للقمع المسلط على المهاجرين بفرنسا[23]. وأشهر عملية قامت بها مجموعة من المنظمة الخاصة O.S[24] تمثلت في قتل على شكّال[25] يوم 26 ماي1957 بملعب دي كولومب De Colombes وهو بجانب رئيس الجمهورية الفرنسية روني كوتي René Coty[26] .

4. 2. اللاعنف الثوري

تنوع نشاط الجبهة بالمدينة ما بين العمل السياسي والعمل المسلح الفدائي، مما دفع بالسلطات الاستعمارية وضعها تحت الرقابة الشديدة، وتمثلت القوة الضاربة للمدينة في حراكها السياسي في أساليب العصيان المدني والإضراب والمظاهرة، فالإضراب يعدّ من المحطات البارزة في تاريخ الثورة الجزائرية وتطور مساراتها، بالإضافة إلى دوره الفعال في نقل المعركة إلى داخل المدينة، فقد نجح في شلّ الاقتصاد الكولونيالي، وتقوية التضامن والتلاحم بين مناضلي النظام (الجبهة). وقد استعملت جبهة التحرير الوطني الجانب السلمي للمدينة بالإضرابات والمظاهرات لتبرز للعالم أن الثورة الجزائرية تدعو إلى اللاعنف والسلم، وهذا ما جاء في البيان النهائي للمجلس الوطني للثورة الجزائرية في ختام دورته يوم 18 جانفي 1960: " **إن المجلس الوطني للثورة الجزائرية...يندد بهذه السياسة العدوانية، يؤكد من جديد إرادة السلام لدى الشعب الجزائري** "[27]. ومن أبرز الإضرابات التي عرفتها المدينة الجزائرية نذكر ما يلي:

بيان لبعض الإضرابات في المدن الجزائرية خلال الثورة

طبيعة الإضراب	بدايته	نهـايته
إضراب الطلبة	19 ماي 1956	22 سبتمبر 1957
إضراب العمال	5 جويلية 1956– 15 أوت 1956–01نوفمبر1956	–
الإضراب العام للعمال والتجار"8 أيام"	28 جانفي 1957	4 فبراير 1957
الإضراب العام"المناهض لتقسيم الجزائر"	5 جويلية 1961	–

المصدر: **Philippe Tripier**،1972، ص 128.

يعتبر إضراب 08 أيام (27جانفي إلى 04فبراير1957) من أهمّ تلك الإضرابات، نظرا لما حققه من نجاح سياسي كبير تفاعلت معه حتى الصحافة الأجنبية. كما أنّه حققّ استجابة واسعة في أكثر من 28 منطقة حضرية أساسية بالجزائر، وكان إضرابا انتفاضيا، دام ثمانية أيام، نجح في تعبئة الشعب، وحرق مراحل المخطط الثوري، وانتقل مباشرة إلى مرحلة الانتفاضة العامة[28]. فالنجاح الذي حققه الإضراب على المستوى السياسي أعطى مصداقية لجبهة التحرير الوطني، على أنّها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري، وبيّن أهمية المدينة في العمل الثوري، لأنّه حقق التكامل بين الريف والمدينة. تكمن الأهمية السياسية لفكرة اللاعنف، وسلمية الحركة التحريرية داخل المدينة، في النتائج التي حققتها تلك الإضرابات والمظاهرات، فالحديث عن أهمية الإضرابات والمظاهرات كأدوات سياسية، استخدمتها جبهة التحرير في مواجهاتها المتعددة الأوجه للاستعمار الفرنسي، هي قراءة سوسيو–سياسية لدور المدينة في الثورة الجزائرية، فالدور الذي لعبته الجبهة في توجيه، وتنظيم الإضرابات والمظاهرات أثناء الثورة، وجد له صدى على الصعيد الداخلي والخارجي، وأفاد الجبهة بشكل كبير من الناحية السياسية، لأنّ أسلوبي الإضراب والمظاهرة هما بشكل ما امتحان قد يأخذ مسارا معاكسا، وهو في الوقت نفسه عملية استفتائية غير مباشرة هدفت الجبهة من وراءها إلى:

– تعبئة وتجنيد الشعب وراء الجبهة.

– إقحام جميع فئات الشعب في الكفاح الجماعي.

– إبراز صورة أن الثورة الجزائرية هي ثورة شعبية.

– تحريك وكسب الرأي العام في الداخل والخارج.

– إعطاء دفع سياسي للقضية الجزائرية.

كما مثلت المدينة بالدول الشقيقة والصديقة فضاء سياسيا إضافيا، ومجالا حيويا استغلته جبهة التحرير في تمرير رسالتها ودحض الادعاءات الفرنسية من جهة، وكسب الرأي العالمي وتعاطف الشعوب مع القضية الجزائرية من جهة أخرى، ولكسب هذا الرهان فتحت الجبهة مكاتب لها في عواصم الدول الشقيقة، والصديقة خصوصا بعد تأسيس الحكومة المؤقتة 19سبتمبر1958 لمواجهة وإعاقة تحركات آلة الدبلوماسية الفرنسية، الأمر الذي مكن الجبهة من تحويل المدينة سواء في الداخل، أو الخارج إلى سلاح فعال جديد في العمل التحرري.

5. الدور التقريري للمدينة

إن المقصود بالدور التقريري للمدينة هو موقف الشارع الجزائري أي الشعب من الأحداث، وما مدى تأثيره في مسار الثورة، فالأدوات التعبيرية السلمية للمدينة الأكثر صدى وتأثير في الرأي العام تكون بالإضراب أو بالمظاهرة أو بالعصيان، فالمظاهرات هي مواقف سياسية علنية تتميز عن الإضرابات بالحركية، وتكون هادئة على شكل مسيرات سلمية وقد تتحول من الحالة السلمية إلى العنف بفعل فاعل في أية لحظة وتتسارع فيها الأحداث إلى أن تتحول إلى انتفاضة وترتكب فيها جرائم. كما نجد بعض المظاهرات تكون في انطلاقتها هائجة ومجيشة لرفض موقف ما وفرض واقع جديد، فكلّ مظاهرة في الواقع هي سلمية بطبيعتها لأنّ أصحابها عزل، فهي ليست عنيفة في أصلها، إلاّ أنّ سرعة حركتها ومواجهة الطرف المعادي لها باستعمال القوة سيحولها مجزرة، وهو المسار الذي عرفته مظاهرات ديسمبر 1960 مثلما حدث مثلما كان يحدث في كلّ المسيرات السلمية التي نظمها الجزائريون في الفترة "**الاستعمارية**" في 08 ماي 1945 ومظاهرة الجزائريين بباريس في 14 جويلية 1953 بباريس، بعدما تحولت مع تصاعد المواجهات إلى مجزرة، وقمعت بشكل سريع، وتعرضت إلى البطش، والتنكيل من قبل البوليس الفرنسي .

إنّ كلّ المظاهرات التي عرفها الشارع الجزائري خلال الثورة التحريرية، كانت لها تأثيرات على تسارع الأحداث وأعطت دفعا قويا ومباشرا للقضية الجزائرية لما رسمته من صورة للعالم، على مدى التحام الشعب الجزائري بجبهة التحرير الوطني، فمظاهرات ديسمبر 1960 كانت نتيجة حتمية لفشل سياسات ديغول (سلم الشجعان – تقرير المصير – مفاوضات مولان). تعود حيثيات هذه المظاهرات إلى الزيارة التي قام بها ديغول إلى الجزائر في 9ديسمبر 1960 بهدف عرض مشروع الجزائر جزائرية، واستمرت هذه المظاهرات عدة أيام بمختلف المدن الجزائرية إلى أن طلب فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من الشعب عبر الأثير يوم 16 ديسمبر، توقيف المظاهرات لأنها حققت الأهداف. ومن جملة ما أحرزته من نتائج ايجابية على المستوى الخارجي اعترفت الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة في 20 ديسمبر 1960 بحقّ الشعب الجزائري في تقرير مصيره، ومن ثمّ شكلت تلك المظاهرات منعرجا بارزا في مسيرة الثورة، وحدثا حاسما في تاريخ معركتنا المسلحة، وفي سير المفاوضات[29].

أعادت مظاهرات 11ديسمبر 1960 المدينة إلى الثورة، بعدما تحكم الجيش الفرنسي في حركتها على إثر معركة الجزائر 1957، وخلّصت سكان المدن الجزائريين للمرة الثانية من عقدة الخوف، لأنّ ما فعله الجيش الفرنسي في الجزائريين المدنيين أيام معركة الجزائر من تعذيب، وتنكيل أعاد ذكريات مجازر 08 ماي1945 إلى الأذهان، بعدما أدخلوا الشعب الجزائري الأعزل بالمدن في حالة خوف ورعب، فخروج الجزائريين في هذه المظاهرات بمختلف المدن الجزائرية هو تحرر من قبضة الجيش والبوليس الفرنسي، وقد كلفهم ذلك استشهاد أكثر من 800 جزائري عبر التراب الوطني وأكثر من 1000 جريح، يضف إلى ذلك اعتقال أكثر من 1400 شخص، وكانت الطفلة صليحة واثيقي التي لم تتعدى سن 12 سنة رمزا لشهداء هذه المظاهرات. إن زيارة

ديغول إلى الجزائر في 9ديسمبر 1960 استمرت عدة أيام بالمدن الساحلية والداخلية باستثناء العاصمة بهدف عرض مشروع "الجزائر جزائرية"، ولكن في بداية الزيارة واجهته مظاهرات الكولون في 9 ديسمبر 1960 عند مقر بلدية تموشنت ضد مشروعه والدفاع عن فكرة الجزائر فرنسية، وفي يوم 10ديسمبر صباحا نظم الجزائريون مظاهرات بوهران ثم العاصمة في المساء هاتفين بالنشيد الوطني والاستقلال، أما في يوم 11 ديسمبر 1960 أخذت المظاهرات شكلا منظما وقويا بتأطير من مناضلي جبهة التحرير، وكان الغرض منها تحقيق ما يلي:

– تأييد الصريح لجبهة التحرير الوطني وتزكية الحكومة المؤقتة على أنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري في المفاوضات.

– الرد على المتطرفين الأوروبيين الذين نظموا يوم 09 ديسمبر 1960 مظاهرات دافعوا فيها عن "**الجزائر فرنسية**".

– السعي لإفشال مطالب جبهة الجزائر فرنسية F.A. Fالتي كان يتزعمها الباشاغا بوعلام.

ولقد حققت هذه المظاهرات نتائج غير منتظرة كان لها تأثير مباشر على تسارع الأحداث، وكانت ضربة سياسية قاسية لديغول حيث دفنت مشروعه وحلمه المتمثل في "الجزائر فرنسية"، ولهذا أعتبرها العسكريون الفرنسيون على أنها داين بيان فو سياسية، وهذا ما دفع بديغول على أن يجعل من هذه الزيارة آخر مرة يزور فيها الجزائر، ومن أهم نتائج هذه المظاهرات:

على المستوى الداخلي شكلت هذه المظاهرات استفتاءا غير مباشر للشعب الجزائري حول مسألتين أساسيتين: مسألة أحقية التمثيل السياسي للشعب الجزائري، وموقف الشعب الجزائري من مشروع ديغول "**الجزائر جزائرية**". استرجاعها جبهة التحرير المدن الجزائرية من قبضة الغلاة الأوروبيين والعملاء والخونة الجزائريين الذين راهنوا على ديغول، وإعادة بعث العمل الثوري في مختلف المدن الجزائرية بشكل قوي خاصة بالعاصمة، والثأر سياسيا لمعركة الجزائر. تحرر سكان المدن من عقدة الخوف والكبت الجماعي الذي أصابهم من جراء ما تعرضوا له من بطش أثناء معركة الجزائر 1957. وإفشال مشروع جبهة الجزائر فرنسية التي كان يحركها جاك سوستالJacques Soustell . خلق شرخ بين فرنسيي المتروبول والأوروبيين المتطرفين بالجزائر. ودخول الجزائر في صراع إثني واجتماعي بين الأوروبيين والمسلمين ومن جهة أخرى اشتداد الصراع بين الأوروبيين والجيش الفرنسي.

على المستوى الخارجي انتصار القضية الجزائرية في المحافل الدولية على مستوى الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث اعترفت هيئة الأمم المتحدة بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره في 19 ديسمبر 1960 م. كسب القضية الجزائرية مساندة سياسية لدى الرأي العام العالمي وخاصة النخبة الفرنسية واليسار. وانتصار جبهة التحرير إعلاميا لما نقلته وسائل الإعلام الدولية عن أحداث ديسمبر لما رأته من سقوط ضحايا عزل في

مظاهرة سلمية طالبوا فيها بالحرية. دفع ديغول إلى استعمال ورقة فرنسي المتروبول لمساندته بإجراء استفتاء 08 جانفي1961 حول تقرير المصير الجزائر.

وكذلك من بين المظاهرات التي كان لها تأثير مباشر على مسار الثورة نجد مظاهرات العمال الجزائريين في المهجر بقلب العاصمة الفرنسية تنفيذا لإستراتيجية الجبهة، التي أعلنت في البيان النهائي للمجلس الوطني للثورة الجزائرية في دورته الثالثة 27 أوت 1961 على: " **تقوية العمليات العسكرية لجيش التحرير الوني، وتجنيد الجماهير الجزائرية ورفع مستواها النضالي وتوجيهها السياسي والاجتماعي**"[30] . وتطبيقا لتعليمات الجبهة التي دعت إلى التظاهر بفرنسا والجزائر احتفالا بذكرى 01 نوفمبر[31] كذلك لكسر قانون حظر التجوال المفروض على الجزائريين بباريس بدءا من يوم 05 أكتوبر1961 ومن الساعة 08و30د ليلا إلى 05و30د صباحا، هذا المنع والتضييق على المهاجرين الجزائريين وتقييد حريتهم بالإضافة إلى الممارسات العنصرية ضد كل ما هو جزائري كانت قد نبهت إليه جبهة التحرير من قبل في البيان النهائي للمجلس الوطني للثورة الجزائرية في ختام دورته يوم 18 جانفي 1960: " **إن المجلس الوطني...يحي الخمسمائة ألف جزائري الذين يخوضون في فرنسا كفاحا ضد العنصرية والاستعمار**" [32]. ولكن تسارع الأحداث عجل بتنفيذ خطة فيدرالية الجبهة في الخروج للتظاهر أمام مرأى ومسمع العالم، حيث شرع العمال الجزائريون لضواحي باريس في مسيرة طويلة وصامتة عبر الشوارع الرئيسية للعاصمة يوم 17أكتوبر1961[33] وبجانبهم زوجاتهم، وهنا تسجل المرأة الجزائرية مرة أخرى قوة حضورها في العمل الثوري، ففي يوم 18أكتوبر وصلن إلى بلدية باريس وسط المدينة بمعية أطفالهم يحملن الرايات بالألوان الوطنية ويهتفن بـ: تحيا جبهة التحرير وتحيا الجزائر المستقلة دون خوف، وطالبوا بإطلاق أزواجهم. وقد راح ضحية مظاهرة أكتوبر ما يقارب 400 قتيلا. وكانت الشهيدة الشابة فاطمة بدار – 15 سنة– رمزا لهذه المظاهرة ودليلا على همجية دعاة الحرية[34] التي ألقيت بنهر سان La Seine. أما السلطات الفرنسية كعادتها قللت من عدد الضحايا حيث جاء في صحيفة Le Figaro ليوم 18 أكتوبر حسب تصريحات الشرطة أن عدد القتلى كان 02 قتيلان 44 جريحا و7500 موقوفا.

وترتب عن مظاهرة أكتوبر 1961 ما يلي:

إثبات للرأي العام الفرنسي والعالمي قدرة جبهة التحرير الوطنيF.L. N بنقل العمل الثوري إلى الأراضي الفرنسية بتحريكها الشارع الفرنسي.

عكست مجازر1961 صورة عن حقيقة ما يعاني منه الجزائريون منذ 1954 وأن ذلك قد أنتقل إلى المتروبول بشكل علني.

بينت هذه المظاهرة أن فيدرالية جبهة التحرير الوطنيF.F.L.N هي الممثل الحقيقي والفعلي للمهاجرين الجزائريين وليس الحركة الوطنية الجزائرية M.N.A.

كشفت مجزرة أكتوبر1961 للعالم حقيقة وحشية النظام الفرنسي والعنصرية التي تغذي سلوك البوليس.

كسب تعاطف الكثير من الفرنسيين بالمتروبول وخاصة المثقفين والنقابيين والشيوعيين الذين دخلوا في صراع السياسي مع السلطة الفرنسية، وهذا ما حدث في مظاهرة 08 فبراير 1962 بباريس التي نتج عنها سقوط 09 قتلى وجرح 250 من بين المتظاهرين الفرنسيين قرب محطة المترو Charonne.

ويمكننا أن نقدم قراءة ملخصة لمظاهرات ديسمبر 1960 وأكتوبر 1961 ما يلي:

تحويل المدينة كفضاء ومنبر للتعبير عن مطالب الشعب الجزائري، والتأكيد على فكرة أن الجبهة هي الشعب والشعب هو الجبهة، فلا يمكن الفصل بينهما.

نجاح جبهة التحرير الوطني في إقحام المدينة في الداخل والخارج في معادلة الصراع مع فرنسا.

إن مظاهرات ديسمبر 1960 كانت عملية استرجاع المدينة الجزائرية من قبضة ورقابة القوات الأمنية الفرنسية وإعادة بعث فيها العمل الثوري.

جاءت مظاهرات ديسمبر 1960 واكتوبر 1961 تتويجا للعمل الفدائي بالمدن الجزائرية والفرنسية وأن الثورة الجزائرية دخلت مرحلة الشمولية.

كشفت مظاهرات أكتوبر 1961 أن المدن الفرنسية تحولت إلى جبهة ثانية للثورة الجزائرية

6. نقل الثورة إلى فرنسا

شكّل قرار نقل النشاط الثوري إلى المتروبول أكبر انتصار لجبهة التحرير على فرنسا، وهذه العملية لا شبيه لها في تاريخ الاستعمار، فجبهة التحرير الوطني هي الحركة التحررية الوحيدة التي نقلت ثورتها إلى أراضي الدولة الكولونيالية، فالثورة الجزائرية انتقلت من جغرافية الفعل الكولونيالي إلى جغرافية الفكرة الكولونيالية، يعود الدور الأساسي في هذه العملية إلى المهاجرين الجزائريين، وتفاعلهم مع متطلبات وإستراتيجية الثورة، **فكيف تمكنّت جبهة التحرير الوطني من تحويل الجزائري في المهجر من عامل إلى مناضل ثوري؟ ولماذا ركزت الجبهة على العامل في المهجر؟**

هنا تكمن قوة الثورة الجزائرية والحنكة السياسية لقادة الثورة، وقدرتهم على القراءة الاستشرافية الصحيحة لتطور الأحداث، وتعود الاتصالات الأولى بين ممثل الجبهة في الخارج مع مناضلين سابقين في فيدرالية حركة الانتصار بفرنسا إلى يناير 1955، حيث بدأ الاتصال الدائم مع مراد طربوش الذي عينه بوضياف على باريس بعد الاجتماع الذي تم بينهما في سويسرا [35]. إنّ حضور وإشراك المهاجرين في الثورة للاستعانة بهم بصفة مناضلين وفدائيين لاستعمالهم في مسألتي العنف واللاعنف داخل الأراضي الفرنسية في اللحظة التاريخية المناسبة، ويكونون سندا ماديا ومعنويا في استمرارية الثورة، وليس خفيا على أحد أنّ فرنسا كانت معقلا للتيار المصالي، ومن ثمّ فإنّ السيطرة والتحكم واحتواء المهاجرين اعتبرت أمر حيويا بالنسبة للطرفين المتصارعين، وهو ما يفسر ذلك الصراع الحاد، والدموي بين جبهة التحرير F.L.N والحركة الوطنيةM.N.A ما بين 1956 و1958، حيث راح ضحية هذا الصراع قرابة 10 آلاف من المهاجرين.

فالانخراط الواسع للمهاجرين في صفوف فيدرالية الجبهة يزيد بالتأكيد في الموارد المالية للثورة، كما يعطيها شرعية التمثيل في أوساط المهاجرين، وما يؤكد ذلك أنّ مصادر تمويل جبهة التحرير، وجيش التحرير عند نهاية الثورة ساهمت فيها فيدرالية الجبهة بفرنسا بما يناهز 80%. ولا ننسى الدور الذي لعبه حاملي الحقائب[36] في تهريب هذه الأموال، من أمثال: مجموعة فرنسيس جونسونJeanson Françis، وهنري كيريال– Henri Curiel بباريس، وسيلفان Sylvain بليون Lyon، وآنات روجي Annette Roger بمرسيليا Marseille وغيرهم[37]. فتجنيد هؤلاء الفرنسيين للعمل مع الثورة يؤكد قوّة الجبهة، ومدى تأثير مبادئها، وأهدافها حتى على الآخر، خصوصا إذا كان فرنسيا، ولتجنيد شخص ما ضد نظام دولته، لا بد من تطابق وتقارب الأهداف بين المجنِد والمجنَد، فالثورة الجزائرية كان يُنظر إليها من قبل هؤلاء المتعاونين والمساندين والمتعافين، والثوار الأحرار العالميين، خصوصا التروتسكيين من مناضلي الكنفدرالية العامة للعملC.G.T والحزب الشيوعي الفرنسيP.C.F، على أنّها فرصة للقضاء على الكولونيالية والإمبرايالية، فهي تشكلّ بمنظورهم حلقة من حلقات الصراع بين الأممية والإمبريالية.

يعدّ قرار نقل جبهة التحرير العنف الثوري إلى الأراضي الفرنسية في حدّ ذاته أكبر انتصار سياسي، وعسكري على فرنسا. كما يعكس فشل فرنسا في تطويق الثورة، وكسب هذه الأخيرة معركة الدعاية، والتأثير في الرأي العام الوطني والدولي، فتحويل المدن الفرنسية إلى ميدان جديد للعماليات الفدائية، أي معادلة توازن الرعب يقحم فرنسيي المتروبول في تعقيدات معادلة الصراع، ويخرجهم من اللامبالاة من صمتهم. فالفرنسي بالمتروبول أصبح طرفا معنيا بما يحدث في الجزائر، إمّا بسبب التجنيد الإجباري المتزايد لأبنائهم، أو نتيجة نقل حرب المدن إلى الأراضي الفرنسية، الأمر الذي دفع بالفرنسيين إلى الخروج في مسيرة بباريس يوم 08 فبراير1962 للمطالبة بالسلم، ووقف الحرب في الجزائر إلاّ أنّ شرطة موريس بابون–Maurice Papon وواجهتم بالقمع، وسقط على إثر ذلك 09 ضحايا من المتظاهرين بشارع شارون–Charonne. بيّنت الحادثة أنّ الأمن والاستقرار بفرنسا تلاشى نهائيا، وأنّ الثورة الجزائرية ربحت معركة الرأي العام الفرنسي، بعدما كسبت المساندة من طرف النخبة الفرنسية على رأسهم الفيلسوف جون بول سارتر في "**بيان121**" المشهور الذي نشر في سبتمبر 1960 أيام محاكمة حاملي الحقائب، حيث حرضوا في البيان الشباب الفرنسي لرض التجنيد والمشاركة في حرب الجزائر، وطالبوا بالسلم في الجزائر ونددوا بهذه الحرب الوحشية.

خاتمة

اعتمدت جبهة التحرير الوطني في تنفيذ إستراتيجيتها القائمة على منهجية التدرج والمرحلية في توسيع جغرافية الثورة وتنويع مجالات ووسائل نشاطها الثوري، مع تبني خطاب سياسي نابع من الواقع السياسي، والاجتماعي للشعب الجزائري، وعدالة القضية الجزائرية. وبعيدا عن كلّ الأطروحات الإيديولوجية والسياسية المعقدة، وقد ساعدها هذا على تطويق مخططات "**الاستعمار**" وترسانته العسكرية والدعائية، وتعبئة واحتواء وتنظيم مختلف فئات الشعب الجزائري في الداخل والخارج، فنجاح الثورة الجزائرية في تحقيق الاستقلال يعود

بالأساس إلى أنّها كانت شعبية في انطلاقتها وأهدافها، وشارك فيها الشعب الجزائري بكلّ مكوناته في الريف، وفي الحواضر.

وتجسيدا لمعادلة التوازن في الرعب بين الجزائر والمتروبول، نجحت جبهة التحرير الوطني في نقل الفعل الثوري إلى التراب الفرنسي، فكان ذلك انتصارا لها على جميع الأصعدة وتحديا جريئا للسلطة الفرنسية بالمتروبول. فإذا كانت فرنسا قد طبقت على الشعب الجزائري بالأرياف والمدن الحرب الشاملة لما استعملته من قوة، وإبادة، فإنّ جبهة التحرير ردّت عليها بالثورة الشاملة، وضيّقت عليها الخناق في المدن الجزائرية وبالمدن الفرنسية وأمام الرأي العام الفرنسي والعالمي، وفي المحافل الدولية، والفضل في نجاح هذه الإستراتيجية هو تبني جبهة التحرير الوطني اللاعنف الثوري داخل المدن واستغلاله في مناسبات حاسمة بتأطير وتنظيم المظاهرات الشعبية السلمية، التي كانت من أهم الأدوات التي أعطت دفعا كبيرا للثورة الجزائرية نحو الاستقلال

الهوامش:

1- حسن بومالي، "**إستراتيجية الثورة الجزائرية في التجنيد والتعبئة الجماهيرية منذ اندلاع الثورة إلى غاية مؤتمر الصومام**" ص ص39-88، الملتقى الأول حول الإعلام والإعلام المضاد المنعقد يوم 24 و25 سبتمبر 1996، إصدار المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1نوفمبر، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص43.

2- Benjamin Stora, (2010).Le Nationalisme Algérien avant 1954, CNRS, éditions, Paris, P.171.

3- محمد لحسن أزغيدي، **مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956-1962**، الجزائر، دار هومه،2009، ص.121.

4 -Benjamin Stora, op.cit, P. 203.

5 - André Nouschi, Enquête sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises, Presses universitaires de France, p 553.

6 - André Nouschi, L'Algérie Amère 1914-1994, Editions de la maison des sciences de l'homme, p 133.

7- بن يوسف بن خدة، **شهادات والمواقف**، ط1، دار الأمة للطباعة والتوزيع،2007، الجزائر، ص63.

8 -Bourouiba boualem, (2006).Les Syndicalistes Algériens, Leur Combat de l'éveil à la Libération 1936-1962, Co-éditionDahleb/ ENAG, P.275.

9-Ali Haroun, (2005). La 7 Wilaya : La Guerre du FLN en France 1954-1962, Casbah Editions, Alger, P62 .

10- سعيدي وهيبة، **الثورة الجزائرية ومشكلة السلاح 1954-1962**، الجزائر، دار المعرفة، 2009، ص.25.

11- محمد لحسن أزغيدي، المرجع السابق، ص. 154.

12- المرجع نفسه، ص. 105.

13Philippe Tripier, 1972. Autopsie de la Guerre de l'Algérie, Éditions France Empire, P.83.

14- حسينة حاميد، **المستوطنون الأوروبيون والثورة الجزائرية 1954-1962**، منشورات الحبر، الجزائر، الطبعة1، ص.129.

15-محمد حربي، الثورة الجزائرية **سنوات المخاض**، الجزائر، موفم للنشر،2007،2008، ص.154.

16- المرجع نفسه، ص. 153.

17Benjamin Stora, op.cit, P. 203.

18 – جيلالي صاري، (2012)، ثمانية ايام من معركة الجزائر: 28جانفي- 04فبراير 1957، ترجمة خليل أوذينية، موفم للنشر، ص32

19Philippe Tripier, op.cit, P. 131.

20- أزغيدي محمد لحسن، المرجع السابق، ص. 121.

21موريس بابونMaurice Papon ، كان محافظا لشرطة باريس وهو من وراء مجازر 17أكتوبر1961 تحت رعاية ديغول.

22 Marcel et Paulette Péju, (2012). Le 17 Octobre des Algériens, Editions Média-Plus, Constantine, P.146.

23Marcel et Paulette Péju, op.cit, P. 147.

24 – ليس المقصود بها المنظمة الخاصة التي أنشأتها حركة الانتصار، ولكنها منظمة جديدة نظمتها جبهة التحرير للعمل الفدائي بالأراضي الفرنسية. وتعتبر هذه العملية الفدائية التي نفذها محمد بن صادوق ضد علي شكّال أثناء خروج الوفد الرئاسي بعد انتهاء مقابلة نهائي كأس فرنسا في كرة القدم، وهي من أشهر التصفيات الجسدية التي نفذتها جبهة التحرير الوطني ضد الخونة بالتراب الفرنسي.

25علي شكال Ali Chekkal ، المهنة محامي، وهو سياسي، كان نائبا لرئيس المجلس الجزائري، وهو من أشد المدافعين عن فكرة الجزائر فرنسية، وقد شارك مع الوفد الفرنسي بالأمم المتحدة في فبراير 1957 أثناء النقاش حول الجزائر. Journal de 27 Mai 1957 Neuchâtel

26Ali Haroun, op.cit, P. 86.

27 – عبد الله مقلاتي، **مواثيق ووثائق الثورة الجزائرية: دراسة وتحليل**، موسوعة تاريخ الثورة الجزائرية، الكتاب العاشر، وزارة الثقافة الجزائر، ص 408.

28Philippe Tripier, op.cit,P. 128.

29بن يوسف بن خدة، **اتفاقيات إيفيان، تعريب لحسن زغدار ومحل العين جبائلي**، ديوان المطبوعات الجامعية،2002، ص.19.

30 – عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص443.

31Marcel et Paulette Péju, op.cit, P. 149.

32 – عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 409.

33Ali Haroun, op.cit, P. 363.

34Ali Haroun, op.cit, P.62

35Ibid, P.16

36 - حاملو الحقائبLes porteurs de valises ، أغلبهم من الفرنسيين الشيوعيين الذين ساندوا الثورة الجزائرية، وكان على رأسهم فرنسيس جونسون Francis Jeanson الذي كون شبكة سرية منذ 1957 لنقل الأموال التي كانت تبعثها فيدرالية الجبهة إلى الثورة، وفي فبراير 1960 ألقي عليه القبض وعلى 20 من المشاركين في شبكات دعم الثورة، وحكم عليهم بالمحكمة العسكرية بتهمة الخيانة، ينظر إلى جريدة L'Huamanité الفرنسية الصادرة في 23 جويلية 2014.

37Ali Haroun, op.cit, P.56.